

شخصية الراوي في الرواية النسائية

The Character of the Narrator in the Female Novel

إعداد الدكتورة/ عنود عبد الجبار كريدي العنزي

دكتوراه الفلسفة في الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الاسكندرية، جمهورية مصر العربية

المخلص

هدف البحث الحالي إلى التعريف بالراوي والرواية، والحديث بالمشهد الروائي النسائي في مصر، وأهم القضايا التي تناولتها المرأة الكاتبة عبر المنظور الذي تنطلق منه، الحديث عن الراوي وأنماطه ووظائفه بوصفه مدخلاً لدراسة الرواية النسائية في مصر، وتمثلت مشكلة البحث في ضرورة القيام بقراءة أعمال هؤلاء الكاتبات بقدر الإمكان - ومحاولة إسقاط أعمالهن وخاصة إنه توالت أعمالهن في المرحلة المعاصرة التي تكاد تتسم بالكثرة والتماثل. استخدم البحث المنهج البنوي بفرعيه الشكلي والتوليدي. أما الاتجاه الشكلي فيتمثل في اجتهادات بعض النقاد، أما الاتجاه التوليدي فيتمثل بشكل خاص في كتابات لوسيان جولدمان. وتم تناول عدة مباحث في البحث أولها المرأة والرواية في مصر تمثل باتجاهات الرواية النسائية، والاتجاه الذي سلكته الرواية النسائية في مصر، وقضايا الرواية النسائية، والمبحث الثاني بعنوان الراوي: النمط والوظيفة وتم تناول تعريفات الراوي والرؤية السردية في النقد المعاصر وأنماط الراوي تبعاً للضمير وللمسافة من المحكي، وأنماط الراوي في مجال النقد العربي.

وتوصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: يظهر أن الرواية التاريخية في مرحلتها الجديدة قد أخذت أتجهاً فنياً جديداً له مميزاته وسماته الخاصة إذ شهدت تطوراً فنياً واضحاً في بعض نماذجها على مستوى الشكل والمضمون، تنوعت مسوغات كتابة الرواية التاريخية ومبرراتها عند الكتاب الجدد، بعد أن كانت تكتب في الغالب لأهداف تعليمية، تعتبر الرواية في حد ذاتها تعبير عن قضية معاصرة أو أداة لواقع معيش لم تستطع البوح به على نحو مباشر أو تكتب لهدف اصطلاحى تربوي، وتتخذ أخرى من الهدف الجمالي والفني سبباً كافياً للكتابة في موضوع تاريخي.

الكلمات المفتاحية: شخصية، الراوي، الرواية النسائية

The Character of the Narrator in the Female Novel

Abstract:

The aims of the current research is to introduce the narrator and the novel, and to talk about the women's novel scene in Egypt, and the most important issues that the women writers dealt with through the perspective from which they start, talking about the narrator, his patterns, and his functions as an introduction to the study of the women's novel in Egypt, and the problem of the research was the need to read the works of these writers As much as possible - and try to investigate their works, especially since their works continued in the contemporary stage, which is almost characterized by abundance and symmetry. The research used the structural approach in both its formal and generative branches. As for the formal trend, it is represented in the jurisprudence of some critics, while the generative trend is represented, in particular, in the writings of Lucien Goldman. Several topics were dealt with in the research, the first of which is the woman and the novel in Egypt, which represents the trends of the women's novel, the direction that the women's novel took in Egypt, and the issues of the women's novel. Narrator, and patterns of the narrator in the field of Arabic criticism.

The research reached several conclusions, the most important of which are: It appears that the historical novel in its new phase has taken a new artistic direction with its own advantages and characteristics, as it witnessed a clear artistic development in some of its models at the level of form and content. Mostly for educational purposes, the novel in itself is considered an expression of a contemporary issue or a tool for a living reality that it could not reveal directly or write for an educational terminological goal, and takes another from the aesthetic and artistic goal as a sufficient reason to write on a historical topic.

Keywords: Character, Narrator, Female Novel.

1. مقدمة البحث

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل عنصراً من أهم عناصر البناء السردية وهو عنصر الراوي بوصفه مقدمة أساسية تمكن من الولوج إلى عالم المرأة/ الكاتبة، بما ينطوي عليه من تجارب متميزة من شأنها أن تنسج كتابتها الأدبية بالخصوصية وذلك أن عنصر الراوي يعد أحد المحاور الأساسية التي تمكن من تبين حقيقة رؤية الكاتبة للعالم من حولها. وقد كان اختيار الموضوع للأسباب التالية:

- 1- الراوي من أهم العناصر التشكيلية في الروايات القديمة والحديثة. فهو المدخل الحقيقي لدراسة السرد القصصي.
- 2- الراوي من أهم إليات السرد في النصوص القصصية، فهو الذي يمسك بكل خيوط لعبة القصص بإعتباره عنصراً مهيمناً من البداية حتى النهاية بإقتدار بالغ.
- 3- كما أن تناول عنصر الراوي في روايات المرأة في المرحلة سيكشف عن العالم الداخلي للمرأة، فالنص المكتوب امتداد وجودي للذات الكاتبة، بالإضافة إلى إنه يعد بحثاً عن كثير من القضايا في المجتمع العربي المعاصر في مصر، فصوت المرأة الإبداعي لا يهمل القضايا الكبرى التي تترشح تحت وطأتها الأمة العربية اليوم سواء كانت قضايا عامة أم خاصة، حيث تعبر عن رأيها من زاوية المشاركة الفعلية ومن زاوية الإنتقاد طارحة قضيتها: "قضية المرأة في المجتمعات العربية المعاصرة" التي لا تزال تعاني في بعض جوانب منها بعض السلبيات التي تحول دون ممارستها الكاملة لكافة حقوقها.

1.1. أهمية البحث:

1. المرأة والرواية في مصر وما اتسمت به في المرحلة المعاصرة بأنها كاتبة مثقفة لها مرجعياتها في التراث الغربي.
2. تناول عنصر الراوي في روايات المرأة في المرحلة، سيكشف عن العالم الداخلي للمرأة.
3. دور الراوي في الرواية وهو يقوم بعدة وظائف، فهو المكلف بسرد الأحداث والمشاهد، والمسؤول عن التنظيم الداخلي للرواية.
4. علاقة حضور الراوي باسمه وبين فاعلية المشاركة.

2.1. أهداف البحث:

1. التعريف بالراوي والرواية.
2. الحديث عن المشهد الروائي النسائي في مصر، وأهم القضايا التي تناولتها المرأة الكاتبة عبر المنظور الذي تنطلق منه.
3. الحديث عن الراوي وانماطه ووظائفه بوصفه مدخلاً لدراسة الرواية النسائية في مصر.

3.1. منهج البحث:

استخدم البحث (المنهج البنوي) بفرعيه الشكلي والتوليدي. أما الاتجاه الشكلي فيتمثل في إجتهدات بعض النقاد، ومن أهمهم: تودروف، وجاكسون، وجيرار جينيت... وغيرهم، وهو يعنى بدراسة العناصر الشكلية للنص الروائي.

أما الاتجاه التوليدي فيتمثل بشكل خاص في كتابات لوسيان جولدمان، الذي يرى "أن كل عمل أدبي عظيم ينطوي على رؤية للعالم تنظم عالم العمل الأدبي ولذلك يجب على المرء أن يكشف - في كل عمل فني عظيم حقا - عن القيم المرفوضة التي تصنع وحدة العمل، فيكشف عن التضحيات التي يعانيتها البشر في سبيل رفض هذه القيم وقمعها" (جابر عصفور، 1198، ص 165)

وسوف يستفيد البحث من بعض المناهج الأخرى بما يعمق مجال الدراسة مثل أدوات التحليل النفسي حيث تحليل الخطاب الروائي.

4.1. مشكلة البحث:

ثمة مشكلة رئيسية واجهها البحث وهي عدد الروايات التي يمكن أن يغطيها ومرحلة الكتابة، فلم تكن مشكلة البحث في ندرة مادته، وإنما في وفرتها بصورة كبيرة - خاصة في المرحلة المعاصرة حيث كانت تشكل ميزة ولكنها في واقع الأمر تطلبت ضرورة القيام بقراءة أعمال هؤلاء الكاتبات بقدر الإمكان - ومحاولة إستقصاء أعمالهن وخاصة إنه توالت أعمالهن في المرحلة المعاصرة التي تكاد تتسم بالكثرة والتماثل.

5.1. خطة البحث:

مدخل إلى دراسة الراوي.. والرواية النسائية يعرض المشهد الروائي النسائي في مصر، وأهم القضايا التي تتناولها المرأة/ الكاتبة عبر المنظور الذي تنطلق منه، مما أوجب الحديث عن الراوي وأنماطه، ووظائفه بوصفه مدخلا لدراسة الرواية النسائية في مصر، من خلال الروايات موضع الدراسة.

هذه المرحلة المعاصرة تعكس النضج الفني لتطور إبداع المرأة في مجال الرواية على مستوى الرؤية والتشكيل، من هنا فإن معظم النصوص موضوع الدراسة لم يسبق تناولها وتحليلها نقدياً بمنهج سردي معاصر لكن الباحثة أثرت أن تكون من أوائل من يدرس هذا النتاج الروائي.

2. المرأة والرواية في مصر

يعد أدب المرأة ظاهرة ثقافية هامة لا يمكن إغفالها خاصة في المرحلة المعاصرة، فقد ظهرت في سماء الأدب عشرات من الأدبيات المتميزات فلم يعد هناك فرق بين الرجال النساء، فكتابات المرأة تتسم - خاصة في المرحلة المعاصرة - بأنها "كتابة مثقفة لها مرجعياتها في التراث الغربي؛ لأن معظم هؤلاء الكاتبات من أبناء شريحة معينة من الطبقة الوسطى، أتاحت لبناتها التعلم في المدارس الأجنبية، فكتابتهم كتابة تروي من خبرة كاتباتها بالحياة، وتسعى إلى بلورة معرفتهم، فهي كتابة وثيقة الصلة بالواقع الذي صدرت عنه، وباللحظة التي صدرت ضمن سياقاتها". (صبري حافظ، 1997، ص5)

وقد عرفت الحياة الأدبية كثيراً من الأدبيات اللواتي ظهرن وكن رائدات في مجال الرواية في نهاية القرن العشرين من بينهم: إقبال بركة، ورضوى عاشور، وسلوى بكر، ونورا أمين، وميرال الطحاوي... وغيرهن من الكاتبات اللواتي لهن دور في كتابة الرواية المعاصرة. وهذا يؤكد الدور الإيجابي لمسيرة المرأة في المجتمع المصري والثقافة المعاصرة.

وتعد الرواية من أكثر الفنون الأدبية قدرة على التعبير عن أزمات الإنسان وقضايا المجتمع، وقد عكست الرواية النسائية بعضاً من هذه الأزمات والقضايا التي يموج بها مجتمعنا المضطرب والتي كان من شأنها أن تحدث على مدار فترات منقطعة من التاريخ درجات من الأنهيار والتفتت في منظومة القيم والقوانين الإجتماعية، تبعها تغيير في أنماط الحياة، والبنية النفسية للأفراد مما أدى إلى تطور في كتابات المرأة المصرية المعاصرة ... بعد كفاح طويل في الحراك الإجتماعي، حتى استطاعت أن تقوم بدور بارز في الثقافة والأدب.

وقد تأثر الشكل الروائي بما يحدث في الواقع المصري، ففي ظل التحولات السياسية والإجتماعية والثقافية التي أحدثتها ثورة 1952، نجد تحولاً في الوعي والثقافة والرؤية مسائراً لما هو سائد في مسيرة المجتمع، فكانت كتابتهن أقرب إلى التقليدية، فظهرت الرؤية الأحادية (الراوي الغائب العليم) متدخلاً في السرد، معلقاً على الأحداث الروائية، فكانت بتلك الرؤية الأحادية تعبيراً عن الوضع الذي تعيشه المرأة، فأصبح العالم لديها ذا صورة واحدة في الذهن " هي تلك التي افرزتها الذات المشروخة المنكفئة بصورة قسرية على نفسها، بحيث يتاح لها أن تترك العالم بتجرد. (سوسن ناجي، 2006، ص72)

وبعد أن تطور الواقع القاهر للمرأة، في صورة "تبني شروط تسلطية جديدة تعمل على نفي الآخر بشكل تام (سوسن ناجي، ص18)، وقد انعكس هذا على الرؤية التي انبثق منها منظور الكاتبات، في صورة إختفاء تدريجي لسلطة "الراوي" العليم بكل شيء مما ينبئ عن رفض للقيم التقليدية التي تحد من حرية الإنسان عامة والمرأة خاصة، فظهر التمرد لدى بطلاتهن كتعبير مجازي يعكس غضبهن ورفضهن للهيمنة الذكورية. وأشهر الكاتبات اللاتي اتجهن إلى التمرد في كتابتهن: نوال السعداوي؛ وسعاد زهير؛ وسلوى بكر وغيرهن.

وقد ظهرت أثناء المرحلة المعاصرة (1983 - 2003) موجة جديدة من الروائيات لها تميزها، حيث حاولن الخروج من الفكر التقليدي ومنظور الراوي الغائب العليم إلى مرحلة إستعادة الذات وتبني المنظور الذاتي بحصره داخل وعي الشخصية أو عدد من الشخصيات (الأصوات) في إطار الخروج من منظومة القيم والأفكار والعادات الأحادية السائدة ومن أبرز الكاتبات اللاتي اتجهن هذا الاتجاه: لطيفة الزيات، ونوال السعداوي، وسلوى بكر، ورضوى عاشور، حيث يوحدن تقارب الموقف الاجتماعي وتجربة الأنتماء السياسي، فلهن تجربة سياسية واعية اثمرتها التي حدثت في الواقع المصري المعاصر.

وثمة روايات اخريات وصلن إلى قمة التمرد في كتابتهن ومحاولة إستعادة ذواتهن - وهن يمثلن جيل التسعينيات - وهن روايات محررات استطعن أن يؤسسن كتابة روائية نسائية لها ملامحها الخاصة، فمحور كتابتهن الحضور الساطع للمرأة، فبدأت كتابة المرأة تصبح "جزءاً من الأدب العربي الذي يعالج قضايا المرأة كمشروع لتغيير المجتمع (روجيه، ص225)، فأصبحت القضية السياسية لديهن تلك الأمور الشخصية والذاتية الخاصة، والمتعلقة في الوقت نفسه بالنظام والسلطة. كما أن هذه الرؤية ليست منفصلة عن قضيتها الإجتماعية أو النفسية أو الجسدية، بل إنها جميعاً تتشكل في نسج واحد وقضية واحدة.

ومن كاتبات هذا الجيل - جيل التسعينيات - ميرال الطحاوي، وسمية رمضان، ومى التلمساني، وسحر الموجي، ونجوى شعبان وغيرهن من الكاتبات اللاتي اسمن خطاباً نسانياً له سماته الخاصة.

اتجاهات الرواية النسائية:

إن أي عمل أدبي يخضع لظروف العصر، وتحكمه مجموعة من المبادئ والضوابط التي تحدد طبيعته وتحقق ماهية وجوده. فالرواية في أشهر تعريف لها: "تجربة أدبية يعبر عنها بأسلوب النثر سرداً وحواراً من خلال تصوير حياة مجموعة أفراد أو شخصيات)، يتحركون في إطار نسق اجتماعي محدد الزمان، ولها أمتداد كمي معين، يحدد كونها رواية. (طه، ص56)

هكذا ترتبط بنية الخطاب الروائي ببنية الواقع، فهي ثمرة للبنية الواقعية السائدة الاجتماعية والحياتية والثقافية على حد سواء، والرواية بحكم حداثة النسبية في تاريخ الادب العالمية - لم تعرف سوى مذهبين أدبيين هما: الرومانسي والواقعي.

فتحديد المذهب أو الاتجاه " الذي ينضوي تحت ظله العمل الأدبي، ليس مدحا أو قدحا فيه، وإنما هو تحديد مشروع وتقليد فني جدير بالإعتبار لطبيعة المدرسة التي ينتمي إليها هذا العمل أو ذاك " (روجيه جارودي، ص 225).

فما الاتجاه الذي سلكته الرواية النسائية في مصر؟

ليس من بين الإتجاهات أو المذاهب ما يفرض نفسه فرضاً على العصر دون أن تكون هناك ظروف اجتماعية وفكرية يظهر صداها، وبناء على هذا فإن إتجاهات التعبير الأدبي تعد محصلة للتيارات الفكرية والحضارية السائدة، كما تكون إستجابة لحاجات المجتمع وتطلعاته.

يذهب " جارودي " إلى أن كل عمل فني أصيل يعبر عن شكل الوجود الإنساني في العالم، والفن بإعتباره انعكاساً لتفاعل الإنسان مع الواقع ورؤيته الخاصة لحركته يساعد الإنسان على أن يخلق فيه حاجاته وممكناته، والقيم التي يفرزها الفن هنا ليست قيم فرد، بل هي سمات مجتمع في ظروف خاصة، هي حضور الذات في الغير، أي أن الفرد تاريخياً لا يعي إبدأ نفسه إلا في إطار حضارة، أي في قلب جماعة. (روجيه جارودي، ص 225).

نشأت الأعمال الرومانسية مرتبطة بالثورة من أجل إصلاح الواقع، وهذا يفرض بنا إلى أن الواقع المصري بما زخر به من ظروف سياسية ثائرة قلقة، وأدبية لا تقل عنها ثورية من حيث الصراع بين القديم والجديد، بالإضافة إلى انتشار الفكر الليبرالي والفلسفة النفعية مع إحساس عال بالرغبة في خلق سمات الشخصية الوطنية.

كما ظهر الاتجاه الرومانسي مقترنا بالدعوة لتحرير المرأة وفتح الطريق أمامها لتشارك في صنع الحياة، ويظهر ذلك من خلال أعمالهن مثلما نجد في رواية لأمينة السعيد "الجامحة (1950)، حيث نجد الكاتبة تعبر عن المرأة في أولى خطواتها نحو الحرية " فأميرة غارقة في ذاتها الرومانسية، وهمومها الفردية... تحطم أعلى مالها. (سوسن ناجي، ص14)

أما الواقعية أسلوباً في التعبير، فهي تعني " نظرة شاملة من الكاتب إلى جميع عناصر تجربته، لا يكتفي فيها بلم اجزائها المتناثرة من الواقع، بل يضيف إليها من خياله ما يوجد بين عناصرها ويبرر وجودها على نحو يؤكد أن التجربة الأدبية المكاس صادق للواقع الذي تعبر عنه. (طه وادي، 1994، ص 207)

وقد حاولت الكاتبة المصرية من خلال إستلهاها لمبادئ المذهب الواقعي أن تعبر عن قضية المرأة التي هي تجسيد لقضية كبرى أشمل وأعم هي قضية الوطن.

وتمثل رواية "الباب المفتوح للطيفة الزيات (1960)" بداية الحصار موجه إلى المذهب الرومانسي ونمو الاتجاه الواقعي 2013 مثلما نجد كثيرا من عاصر الرؤية الواقعية عند نوال السعداوي في مذكرات طبيبة ورضوى عاشور في ثلاثية غرناطة واقبال بركة في تمساح البحيرة "ونجوى شعبان في" نوة الكرم " .. وغيرهن.

ونجد ذلك في رواية " تمساح البحيرة لإقبال بركة، حيث تقوم البطلة منذ إفتتاحية الرواية - ببسط محتواها الشعوري وإنتشاره في ثانيا العمل، بطريقة تداعي الأفكار (الإسترجاع) والمنولوج الداخلي الذي يتم عن طريقه طرح أبعاد الشخصية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

فالماضي منسوجا في ذاكرة الشخصية ومخزونا فيها تستدعيه اللحظة الحاضرة، كما أن شكل الرواية المكتوبة بضمير المتكلم يسمح للرواية / الكاتبة بالإشارة إلى الحوادث اللاحقة دون إخلال بمنطقية النص وفنية التسلسل الزمني.

وغلبة ضمير المتكلم على السرديات التي تكتبها المرأة أقرب إلى طبيعتها التي تواجهها - في الغالب - " ضغوط وظروف أقوى وأقسى منها فلا تملك وسيلة لإعادة توازنها إلا بالافضاء إلى الآخرين". (سوسن ناجي، ص174)

فظهرت أقلام نسائية جديدة عبرت عن ذواتهن وما ينتابهن من صراع داخلي، كما في رواية أوراق النرجس لسمية رمضان، و "السيقان الرفيعة للكذب" لعفاف السيد، و "دنيا" ذاد" لمي التلمساني، و "الخباء" لميرال الطحاوي وغيرهن من بنات هذا الجيل المعاصر التي أصبحت "الكتابة هي مسعاهن الدائم ووسيلتين المأمولة للتحرر والخلاص" (خيرى دومة 2003، ص31).

قضايا الرواية النسائية:

لا زالت المرأة تعاني تناقضا أوجده المجتمع، والسلوك العام للمرأة ناجم من عدم الوضوح الذي يعانيه المجتمع، فهو يدعو إلى تعليم المرأة وحققها في التعبير والحرية... لكنه يحمل أفكاراً محافظة عن المرأة أنتجت ظروف وشروط مختلفة عن العصر فقضية المرأة/ الكاتبة ليست قضية جنسية أو جسدية أو إقتصادية أو إجتماعية فحسب، وإنما قضية إجتماعية إقتصادية سياسية وجنسية أيضاً حيث تندو ناملنا موقع المرأة من التاريخ وما نتج عن هذا الوضع من عزل المرأة (إجتماعيا ونفسيا) أدى إلى- الإعتدال المطلق على الرجل - تحديداً لموقعها، ومن هنا يفسح الطريق اللانهائي أمام الأدبية العربية المعاصرة لمعاناة هذه التجربة الفذة في تاريخها.

فالقضايا التي تثيرها المرأة في كتابتها لا تنفصل عن واقع أزمتها بل إنها تمثل مدار معاناتها فهي تعالجها بطريقتها وأسلوبها، مع الحديث عن وضع المرأة الإنساني، هذا الوضع الخاص الذي تشابكت في تعقيده جملة عوامل: بعضها داخلي، والآخر خارجي.

كل ذلك أهل الروائية المصرية لاستقطاب موضوعات ذات علاقة وطيدة بكيانها ووجودها كأنثى يرمز إليها نظرة دونية مخالفة.

أن (الشخصية المحورية) مثلا نجوى شعبان في لوة الكرم" تعرض لحدث رئيسي تتخذه محورا للسرد، ذلك الحدث المتمثل في وقوع البلاد (دمياط) تحت الحكم العثماني الذي يترك أصداء مختلفة على حياة الشخصيات ونفوسها، وخاصة

المرأة، فنجد ليل - البنت الكبرى - تتحمل أعباء أخوتها الثلاثة فلم تقم ببيع أحدهم للجنود المحتلين، وما تعرضت له أيضا في ظل هذه الظروف من محاولة هتك للأعراض) فكانت المرأة- في الرواية - هي التي تلقي المعاناة، لكنهن غير مستسلمات للظروف المحيطة بهن فرضوى عاشور في "ثلاثية غرناطة" أيضاً نجد الشخصيات النسائية لديها على درجة عالية من الحكمة ورجاحة العقل، فمريضة تتصرف بحكمة بسيطة كي تتغلب على الأوضاع برؤية سليمة حيث كان الذبح ممنوعا في هذه الأيام، فقامت بحيلة ذكية كي تشتري خروفا متعللة بمرض ابنها هشام التي لا تقدر أن ترد له طلبه فتأثر البائع بكلامها وباع لها الخروف ..

أما الكاتبة سحر الموجي فقد تناولت هذا الموضوع الأنثوي من زاوية أخرى، حيث حاولت في روايتها "دارية" أن توجه عدستها لكشف جانب من جوانب القهر الاجتماعي، تشير إلى تعاسة التجربة الزوجية، فقد كانت تعاني الرواية / دارية من إحباطات عميقة متكررة في علاقتها مع زوجها سيف " فقضت السنوات الأولى من زواجها في حالة حب مصحوبة بإعتذار دائم... (سحر الموجي، 2003، ص12)، "لأن دارية كانت دائمة الإقتناع بوجهة نظره في الحياة لم تكن تدرك أن بذرة وعيها كانت تنمو في إتجاه مختلف إلا عندما يحتد الجدل أن حاولت الدفاع عن رأي لها " (سحر الموجي، 2003، ص18).

فتكرر على نفسها بصوت مسموع أن حربها لم تكن من أجل وجودها كشاعرة فحسب، "بل كإنسانة لها الحق في إختيار ما تقرأ وما تكتب ومن تصدق" (سحر الموجي، 2003، ص68).

من هذا العرض يتضح أن معظم الروايات التي تلت عصر الإنفتاح عند كل من نجوى شعبان، ورضوى عاشور.

من هنا ظهرت أقلام نسائية جديدة لها حضورها المتميز وتقنياتها الخاصة مثل نورا أمين وعفاف السيد وبدأت في مجال الكتابة الأدبية تظهر ملامح المرأة المغيبة من قبل في ثنايا الخطابات، وتنبلور من خلال بعض النصوص بوصفها إنسانة أنثوية لا مجرد رمز إجتماعي له دور هامشي فهي التي حياة المجتمع تسيطر عليه الرؤية الأحادية المتمثلة في المجتمع والقوانين التي يسنها الرجال والتي تتعارض مع طموح الأنثى المتحررة.

فالفردي العربي مقهور، فهو يسعى إلى أن يقهر غيره ممن يستطيع غضبه أن يصل إليه، ومن ثم يضيق الرجل الخناق على المرأة، ويلزمها موقفاً أكثر تخلفاً من موقفه هو بدعاوي كثيرة، الشرائع، والأعراف... (محمد امين العالم، القاهرة، 1994).

3. الراوي: النمط والوظيفة

تعريفات الراوي:

تعددت تعريفات النقاد للراوي، ومع ذلك، فإنها لم تكن تختلف كثيراً حول طبيعة هذه الماهية. فهو " الصوت غير المسموع الذي يقوم بتوصيل مادة الرواية إلى المتلقي، وربما يكون الشخص الموصوف مظهراً مخبراً داخل النص، عن يتولى مهمة الإدلاء بكامل تفاصيل عالم الرواية، فهو يملك قدرة على أن يقدم الشخصيات وسماتها ولامحها الفكرية، وعلاقتها وتناقضاتها، كما أن من مهامه تقديم الوقائع المتعاقبة أو المتداخلة أو المتوازنة التي تؤلف كيان الحدث في الرواية. (عبدالله ابراهيم، 1990، ص117)

وهو أيضا " مجموعة من الشروط الأدائية، التي تمكن من يروي بأن يروي كما لو إنه سمع ورأى وعرف ما يروي، كما إنه حقا على علاقة فعلية (صادقة) بما يرى الراوي بهذا المعنى شخصية ظل فني للكاتب، والكاتب هو الذي يخلقها " (يمنى العيد، 1990، ص 97).

فالقصة لا تروي نفسها بنفسها بل لابد من " وجود راو مضمن في النص، ولكل نص راوي على الأقل" (Prince (Gerald 1987, P65

ففي القصص " لا نكون ابدأ بإزاء أحداث، أو وقائع خام، وإنما بإزاء أحداث تقدم على نحو معين... أن السارد (الراوي) هو الفاعل في عملية البناء... فالسارد هو الذي يجسد المبادئ التي ينطلق منها تقديم الأحكام التقويمية، وهو الذي يخفي أفكار الشخصيات أو يجلوها، ويجعلنا بذلك نقاسمه تصوراته للنفسية، وهو الذي يختار الخطاب المباشر أو الخطاب المحكي، ويختار التتالي الزمني - أو الانقلابات الزمنية - فلا وجود لقصة بلا سارد" (توردوف، تزفيتان، 1990، ص 56، 51).

وأكثر هذه المصطلحات شيوعاً هو الراوي - و - السارد، فمصطلح الراوي أكثر عراقية في التراث العربي، " لأنه مرتبط برواية الأخبار التاريخية والأشعار والأمثال والأحاديث النبوية الشريفة وغير ذلك من علوم العقل والنقل. (طه وادي، ص 186) بالإضافة إلى قدم هذا المصطلح وإرتباطه بالأدب الشفاهي.

هناك - إذن - إرتباط وثيق بين الراوي ووجهة النظر عرضه أستاذنا الدكتور طه وادي بقوله: "المنظور الروائي عبارة عن وجهة التي يعتنقها الكاتب، ويريد أن يطرحها فيما يكتب، لأن كل أديب يهدف - واعياً أو غير واع - إلى طرح نسق فكري، يعكس موقفه الأدبي من الكون والطبيعة والإنسان، وعلى هذا فإن وجهة النظر، أو ما اصطلح على تسميته بالمنظور الروائي، هو المركز الذي تدور حوله الأحداث، حيث أن الكاتب يشكل أحداث روايته ليصل في النهاية إلى وجهة نظر أو رؤية تمثل المثير الأول الذي أستثاره، لكي يكتب معبراً عما يعتقد، أملاً أن تصل معتقداته إلى قرانه، وأن يبقى لديهم بعد أن ينتهوا من قراءة الرواية المنظور الذي طرحه والقضية التي آمن بها (طه وادي، 1994، ص 97).

من هنا يتضح أن الراوي... والرؤية مصطلحان متلازمان، وكل منهما ينهض على الآخر، فلا رؤية دون راو، ولا راوي دون رؤية، فدراسة الراوي لا تعني دراسة قصة، وإنما تعني دراسة رؤية ودراسة خطاب روائي يتعلق بالكيفية التي تقدم بها هذه القصة أو الزاوية التي تنطلق منها.

الرؤية السردية في النقد المعاصر:

تعرضت كثير من الدراسات النقدية إلى تقسيم الرؤية أو المواقع السردية في الرواية إلى أنماط مختلفة كل حسب تصوره، وكان لهنري جيمس وبعده بيرسي لوبوك الدور الكبير في تشخيص أهمية الراوي وإضاءة خصوصيته لكل من سيأتي بعدهما من الباحثين والمحللين.

فانطلق جيمس من ملاحظاته حول الراوي الذي ينظر إلى عالمه من عل، معيها عليه لعبة دور محرك الدمى، داعياً إلى "ضرورة مسرحة الحدثاً عرضه، ليس عن طريق السرد أو التلخيص وإنما بإختفاء المؤلف من الرواية" (انجيل بطرس سمعان، 1982، ص 103).

أنماط الراوي:

تباينت أنماط الرواة تبعاً لتصوير كل ناقد والمعياري الذي يختاره ويقنع به:

1) الضمير: إختيار الضمير مسألة تتعلق ببنية السرد وهويته، فهو يتعلق بزواوية الرؤية القولية دون التطرق إلى زاوية الرؤية الخيالية التي قامت عليها التصنيفات السابقة، لذلك فالموضوع الذي يمكن سرده بضمير المتكلم، يصعب سرده بضمير المخاطب، لأنه حينذاك يكون قد فقد معناه وجهته، " فإختيار هذا الشكل أو ذاك له مقصد محدد، باعتبار أن كل نوع لا يصوغ المحكي على نفس الهيئة. (ميشال بوتور، 1971، ص73).

أ - الراوي بضمير المتكلم: يقوم الراوي بضمير المتكلم بإشراك الذات الساردة في فعل العرض باعتبارها فاعلة له حيث يقوم بالتدخل في السرد بصورة قد تبدو طبيعية وغير مقحمة على النص، أما إذا كان الراوي شاهداً يروي بضمير المتكلم فهو مختلف عن الشخص الفاعل في الرواية، لأنه رغم حضوره يحكي قصة غيره .

الراوي بضمير (المتكلم) أقرب إلى طبيعة القص المعاصر لأنه يلغي المسافة بين الراوي والشخصيات، بل إنه يلغي أيضاً - بطريق غير مباشر - المسافة بين الكاتب والراوي " ويصبح من السهل على الكاتب أن يسقط بعض آرائه على لسان الراوي أو إحدى الشخصيات لانعدام المسافة الفارقة بين الروائي والراوي وشخصيات الرواية" (طه وادي، ص150).

و الراوي بضمير المتكلم ليس هو الكاتب بل يظل بينهما إختلاف يفرق بين الكاتب الإنسان، والراوي الموقع المتخيل الذي يقوم من خلاله الحكي لكن توظيف ضمير المتكلم قد يؤدي إلى السقوط في الذاتية المفرطة، فيصر - الراوي - على التركيز على ذاته مما يجعله يغفل العناية ببقية الشخصيات مما يمكن أن يتسبب في إزدحام السرد بتفاصيل ذاتية للراوي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد تدفع الراوي إلى إغفال الحديث عن بعض جوانب شخصيته حتى لا يتهم بالغرور، أو أن يخلع على نفسه صفات ليست فيه، مما يمكن أن يؤثر على شخصية الراوي بالنسبة للشخصيات الأخرى، التي يسمح لها بالتصوير دون الخوف من محاولة المقارنة الدائمة بين شخصية الراوي وشخصية الكاتب. (سيد حامد النجاج، 1985، ص 33، 32)

ب- الراوي بضمير الغائب: وهو راو قريب من الزاوية التي ينطلق منها المؤلف، وقد يمتزج به، وقد يكون هو الشخصية، ولكنه يقيم مسافة صوتية بينه وبين ما ترويها - الشخصية - خاصة في محكي السيرة الذاتية، حيث تحاول الشخصية، أن تباعد بينها وبين ما ترويها، فتنسأوى المعرفة بينهما فيما يتعلق بالشخصية .

2) أنماط الراوي تبعاً للمسافة من المحكي: أكثر هذه التصنيفات شيوعاً تبعاً لهذا المعيار تصنيف "جينيت"، حيث أخذ معيار البؤرة السردية معياراً أساسياً لتحديد أنماط الراوي على النحو التالي: (جيرار جينيت، ص 201)

التبشير في درجة الصفر: المحكي غير المبار أو محكي الراوي كلي المعرفة.

التبشير من الداخل: حيث يوجد الماوى البؤري داخل وعي إحدى الشخصيات، ولا يغادر المروى له هذا الوعي ابداً.

وقد يكون هذا التبشير الداخلي ثابتاً على شخصية واحدة أو متحولاً إذا أنتقل من شخصية إلى أخرى، أو متعدداً، حيث يمكن إعادة رواية الحدث نفسه ولكن من منظورات مختلفة لشخصيات الرواية.

التبنيير من الخارج: حيث يوجد الوعي البؤري خارج الشخصيات ويكتفي برصدها من الخارج، وتبقى مهمة الراوي / الوعي البؤري الخارجي، محصورة في حدود ما يمكن أن تراه عيناه أو تسمعه أذناه.

(3) أنماط الراوي في مجال النقد العربي:

تعددت - أيضاً - تصنيفات النقاد العرب لأنماط الراوي بناء على الدراسات السابقة، وسوف نستعرض بعض نماذج هذه التصنيفات محاولين تكوين رؤية شاملة واضحة لهذه التنظيرات:

أ- تصنيف سعيد يقطين:

بناء على دراسة التقسيمات السابقة قدم الناقد العربي سعيد يقطين تصنيفاً دقيقاً لأنماط الراوي في النموذج التالي:

1- الشكل السردي: البراقى الحكى ويقدم صوتين:

- أ- **خارجي الحكى:** وهو الذي يحكى قصة غير مشارك فيها ومن الخارج ويمكن تسميته بالناظم الخارجي.
- ب- **داخلي الحكى:** وهو الذي يحكى قصة غير مشارك فيها ولكن من خلال شخصية تظل بينهما مسافة ويمكن تسميته بالناظم الداخلي.

2- الشكل السردي: الجواني الحكى ويضم الصوتين:

- أ- **داخلي الحكى:** وفيه تمارس الحكى الشخصيات تسميته بالفاعل الداخلي .
- ب - **الحكى الذاتى:** وفيه تمارس الحكى شخصية مركزية، ويمكن تسميتها بالفاعل الذاتى. (سعيد يقطين ص 312:310)

4. نتائج البحث:

- 1- ظهر أن الرواية التاريخية في مرحلتها الجديدة قد أخذت أتجهاً فنياً جديداً له مميزاته وسماته الخاصة إذ شهدت تطوراً فنياً واضحاً في بعض نماذجها على مستوى الشكل والمضمون.
- 2- تنوعت مسوغات كتابة الرواية التاريخية ومبرراتها عند الكتاب الجدد، بعد أن كانت تكتب في الغالب لأهداف تعليمية.
- 3- تعتبر الرواية في حد ذاتها تعبير عن قضية معاصرة أو أداة لواقع معيش لم تستطع البوح به على نحو مباشر أو تكتب لهدف اصطلاحى تربوي، وتتخذ أخرى من الهدف الجمالي والفني سبباً كافياً للكتابة في موضوع تاريخي.
- 4- لقد شهدت الرواية التاريخية الفنية تطوراً مماثلاً على مستوى الصياغة الفنية والشكل البنائي، يوم تحررت من سطوة الخبر التاريخي وموضوعيته في بنائها للحدث، وذلك عندما أتخذت من الواقعة التاريخية إطاراً عاماً لأحداثها، تاركة المجال لجانب الخلق الإبداعي والفني.
- 5- مع تعدد وظائف الراوي وكثرة أنماطه يصبح العمل الأدبي الوحيد لتحديد النمط، والوظيفة التي يملئها النمط، والحكى هو الوظيفة الأولى للراوي، فما دام أن هناك رواية فلا بد من وجود راو لها. وهذه الوظيفة الاساسية يليها بقية الوظائف الذي تقترن بها.

5. المراجع والهوامش:

- 1- حافظ، صبري. (2001). جماليات الرواية الجديدة "القطعية المعرفية والنزعة المضادة للغنائية، مجلة ألف، عدد (21)، ص185
- 2- عصفور، جابر. (1998). نظريات معاصرة، ط الهيئة العامة للكتاب، ص 165.
- 3- حافظ، صبري. (المصور1997)، قميص وردى فارغ وإبداع الجناح النسائي للكتابة الجديدة، ص5.
- 4- ناجي، سوسن. (2006م). كصورة الرجل في القصص النسائي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، ص72، القاهرة.
- 5- ناجي، سوسن. (د.ت). المرأة في المرأة، العربي للنشر والتوزيع، ط1، ص 14-18، ص174. القاهرة.
- 6- جارودي، روجيه. (د.ت). واقعية بلا ضفاف، ترجمة حليم طوسون، ص 225. دار الكتاب العربي، القاهرة.
- 7- وادي، طه. (1996م). الرواية السياسية، ص 56، ص 150. دار النشر للجامعات.
- 11- وادي، طه. (1994م). صورة المرأة في الرواية المعاصرة، ط دار المعارف، ص 207.
- 13- دومة، خيرى. (2003م). رواية السيرة الذاتية الجديدة، مجلة كلية الاداب، م63، ع1، ص31.
- 14- الموجي، سحر. (2003م). رواية، ص12، ص 18، ص68. الهيئة المصرية للكتاب.
- 17- العالم، محمد. (1994م). أربعون عاما من النقد التطبيقي، دار المستقبل العربي، القاهرة.
- 18- إبراهيم، عبدالله. (1990م). المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ص117، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 19- العيد، يمنى. (1990). تقنيات السرد في ضوء المنهج البنوي، ص 97. دار الفارابي، بيروت.
- 20- Prince Gerald (1987). A Dictionary of Narratology. P65. University Of Nebraska Apress Lincoln London.
- 21- توردوف، تزفيتان. (1990). الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط2، ص 56، 51. دار تويقال، الدار البيضاء.
- 22- وادي، طه. (د.ت). القصة ديوان العرب، ص 186.
- 23- وادي، طه. (1994م). دراسات في نقد الرواية، ص 97، ط3. دار المعارف، القاهرة.
- 24- سمعان، انجيل. (1982م). وجهة النظر في الرواية المصرية، ص103.
- 25- بوتور، ميشال. (1971م). بحوث في الرواية العربية الحديثة، ترجمة فريد انطونيوس، ص73. منشورات عويدات، بيروت.
- 27- النساج، سيد. (1985م). بانوراما الرواية العربية الحديثة، ص 33، 32. مكتبة غريب.
- 28- جينيت، جيرار. (د.ت). خطاب الحكاية، ص 201.
- 29- يقطين، سعيد. (د.ت). تحليل الخطاب الروائي. ص 310:312.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v4.40.17